ذخائر العرب

٥

ديوان أبي تمام

بشرح الخطيب التبريزي

تحقيق

محمد عبده عزام

المجلد الأول

الطبعة الخامسة

دار المعارف

ديوان أبي تمام

بشرح الخطيب التبريزي

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع

مقدمة

بدء الطريق :

كنت أقدر أنى سوف أمضى حتى نهاية الطريق ، فإذا ما تمّ طبع ديوان أبى تمام جلست وصحبى نستروِح ، ونفضت عنى غبار السفر ، وأخذت فى الحديث والسمر ، حديث من قرت عينه بعد غياب طويل . . .

غير أنى ما كدت أبلغ هذه المرحلة من نشر هذا الديوان ، حتى استوقفنى بعض صحبى ، وهو الأستاذ الفاضل شفيق مترى صاحب « دار المعارف » ، وطلب إلىّ أن أقف وقفة لن تطول ريثما نخرج هذا القدر من ديوان أبى تمام ، بعدها نستأنف السير ، ونمضى إلى الغاية .

والحق أنى كدت لا أستجيب له ! كنت أقول لنفسى : ما دام المرء قادراً على السير فلماذا يقف وقفة قد تطول ، وقد تقصر ، وهو لم يبلغ من الطريق بعد إلا أقله ! إنّ أخشى ما يخشاه المتعب المكدود فى سيره راحة تشعره بتعبه وكده ! ومن يدرى إذا جلس هذا المتعب المكدود واستمرأ الراحة ، واستشعر حلاوة الغفوة ، متى ينهض من مكانه ويعاود سيره ؟ !

غير أن الطريق ليست لى وحدى ؛ فألقيت عصاى ، وجلست قليلا ريثما نتأهب للمرحلة الثانية من طريقنا الشاق الطويل . وما أكاد أتلفت خلفى ، وأرنو إلى بعيد بعينى ، حتى أرى أول ما أرى صديقى الدكتور خليل محمود عساكر المدرس الآن بكلية الآداب بجامعة القاهرة . نعم ، فلقد بدأنا تلك الطريق معاً ، لكنا ما كدنا نخطو فيها خطوات قليلة حتى بدا لنا فوقفنا . ذلك أنّ كتاباً آخر عن أبى تمام عَنَّ لنا ، هو كتاب « أخبار أبى تمام » لأبى بكر الصولىّ ، فنحّينا الديوان ريثما نخرج هذا الكتاب ، ونشرناه سنة ١٩٣٧ . بعدها أردنا أن نعاود السير فى الديوان ، لكن صاحبى سافر إلى براغ ليدرس هناك ، فكان

عليّ أن أبدأ الطريق وحدى . والحق أنى أحسست بعض الوحشة حين هممت لأسير وحدى ! ذلك لأنى إنسان أخشى نفسى قبل أن أخشى غيرى . ولولا أنّ مؤنساً آنسنى ، وأستاذاً حبيباً إلى نفسى أذهب عنى وحشتى ، لكنت الآن – كما أظن – ما زلت أتلفت فى بدء تلك الطريق ! ذلك المؤنس ، وهذا الأستاذ ، هو الدكتور طه حسين . فلطالما كان يحثنى على السير والدأب كلّما ادعيت الإعياء والنّصب ! وإن أنس فلن أنسى هذا الذى كان منه حين جئته يومًا من الأيام فى العام الماضى ،وكان هذا الديوان لا يزال فى طريقه إلى المطبعة، وقلت له : انظر يا سيدى ، فإنى ذاهب إلى لندن ، لأمكث سنوات ثلاثًا مدرسًا بالجامعة هناك ، فكيف إذن يطبع هذا الديوان ، ومَنْ عساه يقوم على الإشراف عليه ؟ ! فابتسم أستاذى فى رفق ، وكأنه عرف ما فى نفسى ثم قال : أهذا كل ما تخشاه ؟ لا عليك ، فإنى آخذ مكانك . أىُّ رجل هذا الرجل ، وأى أستاذ هذا الأستاذ ؟ ! *لقد كان فى ذلك الوقت – إذا سمح لى أن أذكر هذا الذى أذكره – فى حاجة ماسة لكل دقيقة من وقته ، لأنه كان يعيش على ما يكتبه ، فكيف إذن أراد أن يحل محل تلميذه فى مثل هذا العمل الذى يستنفد الوقت والجهد . إنما أقول هذا ليذكر بعض الأساتذة الذين توفّر لهم الدولة ما تستطيع أن توفره لهم من خصب العيش ، ورغد الحياة ، وهم مع ذلك لا يقدرون ما ينبغى عليهم نحو أبنائهم وأصدقائهم من تلاميذهم !

غير أنّ سفرى إلى لندن أرجئْ عامًا ، فبقيت بالقاهرة وبدأت المطبعة تطبع وتبعث لى بالتجارب ، وبدأت أراجع هذه التجارب على الأصل الذى كتبته ، وعلى الأصول المخطوطة أيضًا زيادة فى الحيطة . لكنى رأيت أنى فى حاجة لمن يعاوننى على المقابلة ، فطلبت ذلك إلى صديقى الأستاذ رشاد عبد المطلب الموظف بالإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، فلبى وهو سعيد مغتبط ، واحتمل فى ذلك كثيرًا من الجهد والنصب . وكان العمل يسير على النحو الآتى : تبعث المطبعة بالتجربة الأولى فنراجعها معاً ، ثم تبعث بالثانية إلى فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر ، فينظر فيها ويبدى ما يعن له من الملاحظات عليها ، ثم تعود فتبعث بها إلىّ ، فأنظر فيها لأقر ما أقر منها ، ثم أعطى إذن الطبع عليها . والحق أنى مدين للشيخ أحمد محمد

شاكر بكثير من ملاحظاته القيمة التى أخذت بها فى مواضع من هذا الكتاب .

لكنى ما كدت أصل إلى حوالى صفحة أربعمائة ، حتّى دعا داعى السفر إلى لندن ، فحزمت متاعى وأنا لا أدرى من يأخذ مكانى . أهو أستاذى وقد أصبح على كتفيه مسئولية جسيمة أدعو الله أن يمكن له فى النهوض بها ؟ ! كان واجبى أن أعفيه من وعده السابق . ووصلت إلى لندن بمخطوطاتى وأنا لا أدرى ما أصنع ؛ لكنى ما كدت أستقر حتّى ذكرت صديقى وزميلى الأســتاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، فكتبت له فى ذلك ، فإذا هو يسرع فيقوم مقامى فى النظر إلى تجارب المطبعة ، وتقويم النص ، وإعطاء إذن الطبع ، ثم يكتب إلىّ ليخبرنى أنه مغتبط بهذا التكليف . . . .

فأى شكر يستحقه منى هؤلاء الصحب الذين أنفقوا وسينفقون من وقتهم وجهدهم الشىء الكثير . . . ! وأى دين لهم فى عنقى ؟ ! ألا إن صداقة الأصدقاء وزمالة الزملاء خليقة أن تثمر ثمرة من الثمرات التى يستفيد منها الناس إذا غُرست فى مثل هذه التربة الخصبة ، وسقيت مثل هذه الروح الطيبة ! !

* * *

وبعد : فهذا هو المجلد الأول من ديوان أبى تمام وعليه شرح الخطيب التبريزىّ ، ينشر لأول مرة عن أصوله المخطوطة . فلعله أن يجىء محقّقًا طلبة الذين طال تنظّرهم لإخراج هذا الديوان منشورًا نشرة علمية صحيحة ، فإن ديوان أبى تمام المطبوع ناقص ملىء بالأخطاء ، فضلا عن أنه خال من الشرح ، وكان لا بدّ لشعر هذا الشاعر من شرح يجلى غامضه ، ويبين عن مستغلقه ، وقد أحسّ القدماء هذه الحاجة ، فشرحه العلماء شروحًا كثيرة ، فما بالك بهذا الشعر فى أيامنا ؟ !

ولعل الناظر فى هذا الديوان يلاحظ كثْرة ما جاء فى هوامشه من الروايات المختلفة والشروح المتباينة ، وربما تشابه بعض الشروح ، وتقارب بعض الروايات ، وربما خاض شراح أبى تمام فيما لا يتصل بشعره فى قليل ولا كثير ، مثل اللغة والنحو والأخبار وغير ذلك مما تعود الشراح المتقدمون أن يخوضوا فيه ، ويملئوا شروحهم الأدبية به ، فهذه الظاهرة نلاحظها على شروحنا الأدبية المتقدمة بصفة عامة ، فلنلق إذن هنا نظرة سريعة ، لنرى كيف جمع الرّواة المتقدمون شعرنا

العربى ، وكيف شرحوه ، وماذا كانت طريقتهم فى ذلك حتى جاءت دواوين الشعراء التى عملوها وعليها هذا الطابع ؟ ثم لنرى لماذا اختص شعر هذا الشاعر بكثرة الروايات والشروح ؟ ونذكر بعد ذلك شيئاً عن شرّاحه الذين اعتمد عليهم التبريزىّ، ثم نتحدث أخيراً عن النسخ التى اعتمدنا عليها .

جمع الشعر وشرحه :

كان الشعراء فى الجاهلية والإسلام يُرَوُّون شعرهم طائفة من الشبان يتعلمون عليهم الفن ، ويعتمدون فى هذا التعليم على الحفظ والنقد الذى يوجهه أساتذتهم إلى ما يحدثون من آثار . وكان هؤلاء الرواة — أو حملة الشعر وحَفَظَته — من بين أقرباء الشعراء عادة ، أو من تلاميذهم المقربين إليهم ، فقد كان راوية زهير الحطيئة وابنه كعب ، وكان زهير نفسه راوية أوس بن حجر التميمىّ ، والذى روى النقائض مسحل بن كسيب بن عمّار بن عُكابة بن الخَطَفَى . . .

وكان كثيرٌ من هؤلاء الرُّواة شاعراً ، فالحطيئة راوية زهير وآل زهير ، وهُدبة بن خشرم راوية الحطيئة ، وجميل راوية هدبة هذا ، وكُثَيِّر راوية جميل، والسائب بن الحكم السَّدوسى راوية كُثَيِّر ، وذو الرمّة راوية الراعى . . . وهكذا .

اتصلت هذه العادة فى الإسلام واستمرت ، كما اتصلت عادة أخرى واستمرّت ، عادة إنشاد الشعر للجماعات وفى المجالس ، وإظهار ما يثيره الشعر من إعجاب أو سخط ، وتعليل هذا السخط وهذا الإعجاب ، فيظهر النقد ، ويظهر معه شرح لما قد يشتمل عليه الشعر من الأخبار والأنساب ، وربما وقف الناقد عند الكلمة الغريبة ، أو عند وجه غريب من أوجه الإعراب .

على أن العصر الأموى يشهد تطوراً آخر فى رواية الشعر ، إذ يفرغ بعض الأفراد لروايته عن أصحابه ، فيتصلون بهم ويلازمونهم ، ويأخذون عنهم ما يقولون ، ويدوّنون لهم ، إذ كان كثير منهم لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يحسن صناعة التدوين على كل حال . وربما اتصل غير واحد من هؤلاء الرّواة بشاعر بعينه ، وربما قام هؤلاء الرّواة من الشاعر مقام المصلح لشعره والناقد له ، مع أن كثيراً منهم لم يكن شاعراً . وقد كان الشعراء يرتجلون أحياناً ، ويندفعون فى الارتجال ،

فيتورّطون فى بعض الخطأ الذى يتصل بالوزن والقافية والإعراب ، فكان الرّواة يقوّمون لهم ذلك قبل أن يذيعوا شعرهم فى الناس .

ومنذ أواخر القرن الأول تنشأ طائفة جديدة من الرُّواة العلماء ، لا يتصلون بالشاعر ولا يلازمونه ، ولكنهم يطوفون فى أحياء البادية والأمصار يروون الشعر ويروّونه الناس ، ويتخذون هذا صناعة ، شأنهم فى ذلك شأن القصّاص والمحدّثين فى رواية الأخبار والحديث ، مثل حماد والمفضّل وخلَف وأبى عبيدة والأصمعى وغيرهم . وهؤلاء الرُّواة هم العلماء الذين حفظوا لنا الشعر واللغة والأدب بوجه عام . وقد كانوا رُواة ومفسّرين حين يحتاج الأمر إلى تفسير ، وكان تفسيرهم لغويًّا أحيانًا ، ومتصلا بالقصص والنسب أحيانًا أخرى ، وربما ألموا بالنقد الأدبى إلماماً خفيفًا ، كالأصمعى الذى كان يدعوه الرشيد شيطان الشعر .

نزح بعض هؤلاء الرواة المحترفين إلى البادية ، يأخذون الشعر من أفواه الأعراب ، ويعودون به تجارة رابحة فى الحواضر . واعتمد بعض على من كان يلقاه من الأعراب فى هذه الحواضر ، كما روى بعضهم عن بعض آخر ، فالأصمعى جلس إلى أبى عمرو عشر حِجج ، ويونس أخذ عن أبى عمرو ، وأبو عبيدة وخلف أخذا عن يونس ، وسمع خلف من حماد ، وأخذ أبو زيد عن المفضل ، والكسائى عن يونس ، وكان ابن الأعرابى ربيباً للمفضل ، سمع منه الدواوين وصحّحها ، وأملى أبو عمران موسى أحد رُواة الأصمعىّ كتب الأصمعى ببغداد ، وحملها الناس عنه .

واعتمد جل هؤلاء الرّواة على الذاكرة والحفظ ، فكانوا ينشدون الأشعار أو يملونها دون الرجوع إلى مصدر مكتوب ، ولهم فى كتب الآداب نوادر فيها كثير من المبالغات ، فعمرو بن شبّة يروى أنه سمع الأصمعى يقول أحفظ عشرة آلاف أرجوزة ، وكان أبو عبيدة مغيظًا من دعوى الأصمعى من أنه ما قرأ كتابًا قط فاحتاج أن يعود إلى ما فيه ، ولا دخل قلبه شىء قط وخرج منه ، وقالوا إن الأصمعىّ يحفظ نصف اللغة ، وقالوا إن الأحمر صاحب الكسائى ومؤدّب الأمين يحفظ أربعين ألف بيت شاهد فى النحو . سوى ما كان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب . وقالوا إن الفرّاء أملى كتبه كلها حفظاً ، لم يأخذ بيده نسخة إلا فى كتابين ، ومقدار كتب الفرّاء ثلاثة آلاف ورقة ،

ومع ذلك فإنه يقال إن الأحمر كان أحسن حفظاً منه ! وقال ابن الإعرابيّ لثعلب : أمليت قبل أن تجيئني يا أحمد حمل بعير ، وكان الرياشي يحفظ كتب الأصمعيّ كلها وأبي زيد كلها[1] :

على أن بعض هؤلاء الرواة كان لا يكتفي بالسماع والحفظ ولكنه كان يدوّن . فقد كان أبو عمرو الشيباني يخرج إلى البادية ومعه الورق والمداد فيدون ما يسمعه ، وقد قيل إنه جمع أشعار نيّف وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل شعر قبيلة وأخرجه إلى الناس ، كتب مصحفاً وجعله فى مسجد الكوفة ، حتّى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه[2] وقد أخذ عن المفضّل الضبيّ دواوين العرب وسمعها منه أبو حسّان وابنه عمرو بن أبي عمرو الشيباني .

جمع هؤلاء الرّواة ما استطاعوا جمعه من الشعر ، بعضهم عنى بجمع غريبه كما فعل المفضّل فى « المفضّليّات » ، وبعضهم عنى بجمع أراجيزه ، كما فعل الأصمعيّ ، والبعض جمع ديوان شاعر بعينه ، او شعر قبيلة من القبائل . وقد اشتهر بجمع الدواوين جماعة كالأصمعيّ ، وأبي سعيد السُّكّرى ، وابن السّكيت ، وأبي عمرو الشيباني ، والطوسى ، وابن حبيب ، وابن الأعرابى ، وأبي عبيدة ، وأبي الأسود الدؤلى ، وخلف الأحمر ، وحماد الراوية[3] .

ولم يكن يهمهم شرح الشعر أو العناية بنقده بقدر ما كان يهمهم الإكثار من روايته ، فقد روى حمّاد «المعلّقات» دون تفسير ، وروى خلف « لامية العرب » من غير تفسير أيضًا ، والأصمعى جمع « الأراجيز » و« الأصمعيات » من غير تفسير كذلك ؛ ذلك لأن تهافتهم على جمع الشعر كان قبل كل شيء لتدوين اللغة ، والاستشهاد به على مسائل النحو ، وكان هذان العلمان يدرسان فى بدء الأمر لأجل القرآن الكريم والحديث الشريف . يقول ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » : « وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب ، وفى النحو ، وفى كتاب

---

(١) انظر فى هذا نزهة الألبا صفحات : ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٦٨ ، ٢٠٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٣ .
(٢) الفهرست : ص ٦٨ والمراد بالمصحف هنا : المجلد .
(٣) الفهرست : ص ١٥٨ .

الله عزّ وجل ، وفى حديث رسوله صلى الله عليه وسلم » . وكان ابن عباس يقول : إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه فى الشعر ، فإنه ديوان العرب .

وقد يكون الأدب نفسه أغراهم بجمعه ؛ وربما خافوا من ضياعه لكثرة الموالى وتفشى الانتحال ، وقد كان المؤدّبون فى حاجة إليه لمحاضراتهم ، وكان الأمراء ووجوه الناس فى حاجة إليه ليتثقّفوا ، وليروّحوا عن أنفسهم ، كما احتاج إليه أصحاب العلوم الأخرى ليأخذوا منه شواهدهم . على أن كثيرًا من النحاة والفقهاء والمحدثين وأصحاب اللغة كانوا يطلبون الشعر ويروونه ويتناشدونه لا من أجل علومهم ولكن حبًّا فيه واستجمامًا لنفوسهم من مسائل الفقه وعلوم الحديث واللغة وشواهد النحو . حدّث شعبة قال : سمعت قتادة يحدّث عن مُطَرِّف بن الشِّخِّير قال : صحبت عمران بن الحصين من الكوفة إلى البصرة ، فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه شعرًا(١) . وضجر شُعبة من إملاء الحديث ، فرأى أبا زيد الأنصارى فى أخريات الناس فقال : يا أبا زيد :

استعجمتْ دارُ مىٍّ ما تكلّمنا   والدّارُ لو كلّمتنا ذاتُ أخبارِ

إلىّ يا أبا زيد ! فجاءه فجعلا يتناشدان الأشعار . فقال له بعض أهل الحديث : يا أبا بسطام ، نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، فتدعنا وتقبل على الأشعار ؟ ! فغضب شعبة غضبًا شديدًا وقال : يا هؤلاء ! أنا والله فى هذا أعلم منى فى ذاك(٢) .

وفى القرن الثالث تؤلف الكتب الأدبية التى تجمع أطرافًا من الأدب شعرًا أو نثرًا ، ويطيل المؤلفون فى كثير من الأحيان الوقوف عند الشروح النحويّة واللغويّة والتاريخية ، وعند النقد الفنى لما يرون ، كما فعل ابن سلاّم وابن قتيبة فى طبقاتهما .

فأمّا الرّواة الذين كانوا يتصلون بالشعراء ، فقد كانوا يجمعون ما يأخذون عنهم ، ويذيعونه فى الناس ، إما لأدائه إلى العلماء الذين يحترفون التعليم ، وإما بإذاعته فى الناس كتبًا منسوخة بأيدى الورّاقين ، وعلى هذا النحو ظهرت

---

(١) الزبيدى : ص ٦ .

(٢) مقدمة نوادر أبى زيد .

المجموعات الشعرية التى سمّيت فيما بعد بالدواوين .

وهناك مجموعات شعرية أخرى أنشأها علماء الرواية الذين أشرنا إليهم ، رَوَوها عن العرب فى باديتهم وحاضرتهم ، ودونوها كتبًا ، وألقوها على الطلاب دروسًا ، كالذى جمع الأصمعى من الأراجيز ، وكالذى جمع المفضل للمهدىّ ، وكالذى جمع حماد وخلف ورواه أولهما للكوفيين والآخر للبصريين ، وكالذى صنفه أبو عمرو الشيبانى من جمع أشعار العرب ، وكالذى جمع أشعار النقائض بين الفرزدق وجرير ، وكالذى صنفه أبو تمام فى نقائض جرير والأخطل .

ويشهد القرن الثالث ظاهرة أخرى ، هى نشأة المجموعات التى لا يُروى فيها ، ديوان شاعر بعينه ، ولا قبيلة بعينها ، وإنما يختار فيها من الشعر على اختلاف أبوابه وموضوعاته ، لتيسير المحاضرة والحديث على المثقّفين والمؤدّبين ، الذين يتصلون بالملوك والأمراء والوزراء وأصحاب المكانة ، كالأشعار التى قيلت فى الخمر والميسر ؛ كما فعل ابن قتيبة فى كتاب « الأشربة » ، وأبو تمام والبحترى فى حماستيهما .

وأخيرًا تظهر فى أواخر القرن الثالث وفى أثناء القرن الرابع ظاهرة التيسير على الناس ، وذلك بترتيب الدواوين وجمعها على حروف المعجم ، كما فعل الصولى فى جمع ما جمع من دواوين الشعراء ، ولا نعرف أحدًا قبل أبى بكر الصولى جمع الدواوين ورتّبها على حروف المعجم .

فأما عمل الشعر شروحًا فلا نعرف هذه الظاهرة إلا فى القرن الرابع ، ولا نعرف كذلك شروحًا ظهرت على هذا النحو قبل شرح الصولى لديوان أبى تمام ، وشرح ابن جنى لديوان المتنبي ، ذلك لأنه عند ما استغلق شعر هذين الشاعرين وكثر الخلاف فيهما ، لخروجهما عن عمود الشعر المألوف ، ظهرت الحاجة إلى الشرح الطويل الشامل ، واستمرت هذه العادة متبعة حتى شرح الأدباء من الشعر ما ليس فى حاجة إلى شرح . فأما هذه الشروح المتقدمة كشرح ثعلب لديوان زهير ، وما رواه أبو حاتم من نوادر أبى زيد ، فليست فى الحقيقة شروحًا بهذا المعنى الاصطلاحى الذى عرفت به الشروح الأدبية فيما بعد ، وإن رأينا البيت يذكر وتحته تفسير له من اللغة والنحو وغير ذلك ، وأغلب الظن أنّ ما ذكر فى صلب هذه الدواوين من الشرح كان على هوامش بعض النسخ تعليقًا لبعض

العلماء ، ثم نقله تلاميذهم إلى هوامش من نسخهم ، ثم انتقلت هذه الهوامش إلى المتن بعد ذلك .

ولم تكن عادتهم الوقوف عند كل بيت لشرحه ، وإنما كانوا ينشدون القصيدة أو المقطّعة جملة ، ثم يعودون إلى بعض أبياتها بالتعليق ، وقد قيل إن الأخفش هو أول من فسّر الشعر تحت كل بيت . وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها جملة[1] وأغلب الظن أيضاً أن الأخفش لم يقصد إلى أن يكون للشعر شرح بمعناه المعروف ، ولكنه كان أول من قطع الشعر بالوقوف عند كل بيت ، لغلبة النحو واللغة ، فاستمرت هذه عادة الشراح بعده .

وقد أراد الخطيب التبريزيّ صاحب هذا الشرح الرجوع إلى الطريقة القديمة قبل الأخفش وهى إنشاد الشعر جملة ثم الرجوع بعد ذلك إلى ما فيه من لغة أو نحو أو أخبار أو تفسير لمعنى ، غير أن نظر المتأدّبين من تلاميذه إلى الشعر كان لا يزال من أجل استخدامه لتثقيفهم بهذه العلوم ، فأبوا عليه ذلك ، واضطر أن يعود إلى طريقة الأخفش . يقول لصاحبه الذى قدم له شرح الحماسة : « وأنا كنت شرحته شرحاً مستوفى ، غير أنى كنت أوردت كل قطعة من الشعر جميعها ، ثم شرحتها مجملا ، ولم أفصل بين أبياتها بالتفاسير ، فرأيت من يقرأ علىّ هذا الكتاب يرغب فى شرح كل بيت بعده ، ويميل إلى ذلك ، ليسهل عليه معرفة ما يشكل فى كل بيت منه ، ويبين له غرض الشاعر بالكشف عنه ، فاستعنت بالله تعالى على شرحه ، من أوله إلى آخره ، شرحاً شافياً ، بيتاً بيتاً على الولاء » . وكذلك نرى الخطيب التبريزى يشكو من كثرة ما أخذ شراح الشعر أنفسهم به ، من الخوض فى اللغة والنحو والأخبار وغير ذلك ، ويحاول أن يقلل من ذلك ما وسعه التقليل ، فيقول لصاحبه الذى قدم له شرح المفضليات : « سألت ، أدام الله توفيقك ، أن أشرح لك القصائد المفضليات بعد فراغى من شرح كتاب الحماسة ، فعرفتك أنها شرحت ، وفيما شرحه العلماء المتقدمون كفاية ، وفيه مقنع ؛ فذكرت أن بعض الشروح قد طال لكثرة ما ذكر فيه من اللغة الغريبة والاستشهادات عليها ، ومع طوله فكثير من معانى الشعر غير معلوم منه ، وبعض الشروح

---

(١) المزهر : ص ٢٤٨ .

يذكر فيه تفسير البيت مما يتعلّق به ومما لا تعلّق له به ، وإيراد ما يحتاج إليه البيت يطول به الكتاب ، والغرض من شرح هذه القصائد الإيجاز والاقتصار على ما يُعرف به ما فى الشعر من الغريب والإعراب والمعانى ، دون ما يتشعّب من اللغة والإعراب ، لئلا يشغل القارئ له ، والناظر فيه ، عن الغرض المقصود . فأجبتك إلى ملتمسك ، توخيًا لموافقتك . . . » فلم يستطع الخطيب التبريزىّ الذى تُوفى فى أوائل القرن السادس الهجرىّ أن يشرح الشعر جملة ، وإن كان قد استطاع إلى حد أن يقتصد من مسائل النحو واللغة والأخبار ، التى طبعت شروحنا الأدبية المتقدمة بطابعها ، ويظهر هذا فى شرحه على الحماسة والمفضليات ، كما يظهر فى شرحه على ديوان أبى تمام هذا! .

هذه نظرة عامة فى ظهور دواوين الشعراء وجمعها وشرحها ، أردنا أن نقدم بها لهذا الديوان . وهكذا قدر للشعر العربى أن يتولى جمعه وشرحه ، حين ظهرت الحاجة لجمعه وشرحه ، جماعة من النحاة وأصحاب اللغة ، ربما خلا بعضهم أو كثير منهم من ملكة الذوق الأدبى ، التى تلزم لمن ينظر فى الشعر بنقد أو شرح ، حتى قال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الأصمعىّ فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فسألت الأخفش فلم يعرف إلا إعرابه ، فسألت أبا عبيدة فرأيته لا ينفذ إلا فيما اتصل بالأخبار ، ولم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتّاب ، كالحسن بن وهب وغيره .

أثر مذهب أبى تمام فى رواية شعره وشرحه :

كان لهذا الاتجاه القديم أثره الظاهر فى كثرة ما امتلأت به شروحنا الأدبية من الروايات المختلفة ، والتكلف لتخريج أوجه المعانى المتباينة نتيجة استخدام الشعر فى هذه العلوم التى أشرنا إليها . وكانت اللغة لهؤلاء النحاة وأصحاب اللغة ينبوعًا لا ينضُب معينه ، وكذلك ساعدت الحروف العربية النساخ على الوقوع فى أخطاء كثيرة ، نتيجة تشابه كثير من حروفها ، ولا نعرض لهذا الآن ، فهو أشهر من أن يذكر ، وإنما الذى نريد أن نذكره هنا هو أن مذهب أبى تمام فى الشعر كان هو الآخر معينًا للشراح والنساخ على تحريف شعره وتصحيفه ، لأن شعر هذا الشاعر جاء على غير ما ألف القوم ، جاء بعيد المعانى ، غريب

الاستعارات ، مليئاً بالطباق والجناس ، فتعثرت به الأفهام والأقلام ، وكثر فيه التأويل ، وزاد فيه التصحيف والتحريف ؛ فقد اجتمع إذن على هذا الشعر تلك الآفات العامة التى أشرنا إليها ، وآفات خاصة من هذا الشعر نفسه ساعدت عليها ؛ وقد أشار التبريزى فى مقدمته لهذا ، فجاء ديوانه مليئاً بالشروح والروايات ، أبعد هذا الشاعر فى معانيه ، فأبعد شرّاحه فى تأويلاتهم وتخريجاتهم ، وتشابه كثير من ألفاظه لكثرة جناسه ، فتشابه كثير من رواياته ، وكان رأساً لمذهب جديد فى الشعر العربى ، فاختلف فيه الأدباء بين متعصب عليه ومتعصب له ؛ وكان لهذه الخصومة أثرها فى تناول شعره والنظر إليه ، وكان لهذه الضجة التى أحدثها هذا الشعر أثرها أيضاً فى كثرة ما طرأ عليه من تصحيف وتحريف . وقد كنت أحب أن أورد بعض الأمثلة على ما أصاب شعر أبى تمام من تصحيف وتحريف ، نتيجة استغلاق هذا الشعر على كثير من الناس ، ونتيجة عصبية القوم له أو عليه ، ونتيجة استخدامه لجناسه ، حتّى تشابه كثير من ألفاظه ، لولا أن المقام لا يسمح لنا بذلك ، ولعل النظر فى هذا الديوان وهوامشه يغنينا عن ذكر بعض الأمثلة .

أثر آخر لمذهب أبى تمام :

ومع ذلك فقد أحدثت هذه الضجة الأدبية التى قامت حول هذا المذهب صدى آخر ؛ إذ خلّف من ورائه ثروة أدبية قيّمة ، خلّف هذه الشروح الكثيرة لشعره ، كما خلف هذه الكتب النفيسة فى نقده .

فقد جمع شعره ورتبه على الحروف وشرحه أبو بكر الصولى (ت ٣٣٥ هـ) ، كما جمعه على بن حمزة الأصفهانى ورتبه على الأنواع ، لا على الحروف ، وشرحه أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) ، وحسين بن محمد الرافعى المعروف بالخالع (ت ٣٨٠ هـ) ، وأبو الريحانى محمد بن أحمد الخوارزمى (ت ٤٤٠ هـ) ، وشرح جزءاً منه أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى (ت ٤٢١ هـ) ، وشرحه أيضاً أبو حامد أحمد بن الخارَزَنجىّ ، وأبو العلاء المعرىّ ، والخطيب التبريزىّ ، وكذلك شرحه فصيح الدين الحَيدرىّ البغدادىّ ، والمبارك بن

أحمد الإربلىّ ، المعروف بابن المستوفى[١] . هذا عدا ما خلّف غير هؤلاء من أقوال منثورة فى ثنايا الكتب ، وعدا ما ضاع من شروحه ونقده . والذى عثرنا عليه من هذه الشروح عدا شرح التبريزىّ هذا ، شرح الصولىّ ، وكتاب للمرزوقىّ باسم « شرح مشكل أبياته » ، ونقولٌ من كتاب المرزوقى المسمَّى « بالانتصار » ، وكتاب ابن المستوفى المسمى « بالنظام ، فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام » ، وهو ناقص من آخره ، وسنخص بعض هؤلاء الشراح بالحديث ، بعد أن نذكر كتب النقد التى خلّفها مذهب هذا الشاعر .

كتب ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) كتابه « البديع » الذى ذكر فيه أنواع هذا الفن الذى اختص به أبو تمام ، وهو مطبوع وليس بنا حاجة للتعريف به . وكتب ابن المعتز أيضًا كتابًا فى سرقات الشعراء ، تحامل فيه كثيرًا على أبى تمام ، وفى كتاب الآمدىّ « الموازنة » نقولٌ منه . قال ابن المعتز فى هذا الكتاب : « وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات ، متفرقة فى أشعار القدماء . كما عرّفتك ، لا تنتهى فى البعد إلى هذه المنزلة فاحتذاها ، وأحب الإبداع والإغراق فى إيراد أمثالها ، واحتطب واستكثر منها[٢] . ويذكر المَرْزُبانىّ فى كتابه « الموشَّح » أن لابن المعتز رسالة فى محاسن شعر أبى تمام ومساويه[٣] .

وكتب أبو بكر الصولىّ كتابه « أخبار أبى تمام » ، وقد دافع فيه كثيرًا عن أبى تمام ، وردّ بعض أقوال خصومه فيه ، كما ذكر جملة من أخبار هذا الشاعر ؛ وهو مطبوع .

وكتب الآمدى (ت ٣٧١ هـ) كتابه « الموازنة » ، وهو غنى عن التعريف . وللآمدىّ كتاب آخر يذكره ابن المستوفى فى كتابه « النظام » باسم « الأبيات المفردة » . كما يذكر له كتابًا آخر باسم « معانى شعر أبى تمام » . وله أيضًا كتاب فى « الرد على ابن عمار ، فيما خطّأ فيه أبا تمام » ، ويذكر هذا فى « الموازنة » فيقول :

---

(١) راجع كشف الظنون لحاجى خليفة (جـ ١ نهر ٧٧٠ ، ٧٧١ طبعة إستامبول سنة ١٩٤١) فى ذكر من تعرض له بالشرح .

(٢) الموازنة : ص ١١١ .

(٣) الموشح : ص ٣٠٧ .

« وتجاوز ذلك بعضهم إلى القدح فى الجيّد من شعره ، وطعن فيما لا يطعن عليه ، واحتج بما لا تقوم حجّة به ، ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولا حتى ألّف فى ذلك كتابًا ، وهو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمّار القُطْرُبُّلىّ المعروف بالفريد ، ثم ما علمته وضع يده من غلطه وخطئه إلا على أبيات يسيرة ، ولم يقم على ذلك الحجة . ولم يهتد لشرح العلة ، ولم يتجاوز فيما نعاه بعدها عليه ، الأبياتَ الّتى تتضمن بُعْد الاستعارة وهجين اللفظ ، وقد بيّنت خطأه فيما أنكره من الصواب فى جزء مفرد ، إن أحبّ القارئ أن يجعله من جملة هذا الكتاب " الموازنة " ويصله بأجزائه ، فعل إن شاء الله[1] » .

وكتب المرزوقىّ كتابه « الانتصار » ، ولدينا فى كتاب ابن المستوفى وفى شرح التبريزىّ هذا نقول منه .

وكتب أحمد بن أبى طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ هـ كتابًا فى سرقات أبى تمام من البحترىّ ، وقد أشار إليه الآمدىّ فى مواضع من كتابه[2] .

وكتب أبو الضياء بشر بن تميم كتابًا فى سرقات البحترىّ من أبى تمام ، وقد ذكره الآمدىّ كذلك فى كتابه . قال : قال صاحب البحترىّ : ولكن ليس كما ادّعيتم وادّعى أبو الضياء بشر بن تميم ، وحشا كتابه به[3] .

وقال الآمدى أيضًا : وقد استقصى فى هذا الكتاب سرقات البحترىّ استقصاء بالغ فيه حتى تجاوز إلى ما ليس بمسروق[4] .

وكتاب « أخبار أبى تمام والمختار من شعره » لأبى الحسن على بن محمد العدوىّ السُّمَيساطىّ البغدادىّ المتوفى سنة ٣٨٠ هـ[5] .

---

(١) الموازنة : ص ٥ ، ص ٨ ، وانظر الفهرست ص ١٥٥ ، وفى ص ١٠٥ من كتاب الفهرست ذكر ابن النديم أن للآمدى كتاباً فى أخطاء أبى تمام .

(٢) الموازنة : ص ٤٧ وفى فهرست ابن النديم ص ١٤٦ بعد أن ذكر مصنفاته ذكر ضمنها كتاب سرقات النحويين من أبى تمام . ومعجم (الأدباء ١ : ١٥٥) .

(٣) الموازنة : ص ٢٢ ، ص ٢٣ .

(٤) الموازنة ص ١٢٩ .

(٥) الفهرست : ص ١٥٤ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٤١ ، وقد ذكر ياقوت أن له كتاباً آخر فى تفضيل أبى نواس على أبى تمام .

وكذلك كتاب « أخبار أبي تمام ومحاسن شعره » لأبي عثمان الخالدى سعيد بن هاشم بن وَعْلة العلوىّ الموصلىّ المتوفى سنة ٤٠٠ هـ[١] .

وكتاب أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح الذى ذكر فيه أخبار أبي تمام مع غيره من الشعراء[٢] .

وكتاب أخبار أبي تمام ومحاسن شعره ، عمله الخالديان[٣] .

وكتاب « هبة الأيام ، فيما يتعلق بأبي تمام » للشيخ يوسف البديعىّ الموصلىّ المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ ، وهو مطبوع .

وربما ألّف غير هؤلاء كتبًا فى نقد أبي تمام ، ولكنها لم تذكر ، وهذا القدر نفسه يرينا أن شعر هذا الشاعر كان باعثًا على ظهور النقد العربىّ وبعثه ، غير أنه لم يبق لنا من هذا الكتب إلا « البديع » و«الموازنة » و « أخبار أبي تمام » و « هبة الأيام » .

بعض شُرّاحه :

أبو بكر الصولى (ت ٣٣٥ هـ) ويرمز إليه التبريزى بالحرف (ص) . والصولى أشهر من أن نعرف به هنا ، فكثير من كتب الأدب – ومنها الأغانى – مدين له برواياته . وله تآليف كثيرة طبع منها كتاب : « أدب الكتاب » ، و « الأوراق » و « أخبار أبي تمام[٤] » وقد جمع الصولىّ دواوين عدة شعراء كان السابق فيها على هذا الترتيب المعروف ، أعنى ترتيبها على الحروف[٥] .

وهو أقرب الشراح – الذين وصلت إلينا شروحهم – عهدًا بأبي تمام ، وقد كان كما ذكرنا ، أول من عمل شعر هذا الشاعر ، وألف فى أخباره . وقد أخذ رواية هذا الديوان عن أبي مالك عَوْن بن محمد الكِنْدِىّ الذى عاصر أبا تمام ، واتصل

(١) ذيل كشف الظنون (٢) الموازنة : ص ٥ ، ص ٨ (٣) الفهرست : ص ١٦٩ .

(٤) له كتاب الوزراء ، وكتاب الورقة ، وكتاب الأنواع ، وأخبار القرامطة ، وكتاب الغرر ، وأخبار أبي عمرو بن العلاء ، وكتاب العبادة ، وأخبار ابن هرمة ، وأخبار السيد الحميرى ، وأخبار إسحق بن إبراهيم ، وكتاب رمضان ، وكتاب الشامل فى علم القرآن ، وكتاب مناقب على بن الفرات ، وكتاب أخبار الجبائى أبي سعيد (ابن خلكان ١ : ٦٤٣ بولاق والفهرست ص ١٥٠) .

(٥) جمع ديوان أبي تمام ، وابن الرومى ، وأبي نواس ، والبحترى ، والعباس بن الأحنف ، وعلى بن الجهم ، وابن طباطبا ، وإبراهيم بن العباس ، وابن عيينة ، وابن شراعة .

به وروى عنه[1]. واتصاله بهذا الرجل كان له أثر ملحوظ فى تحقيق روايته وشرح شعره. وكثيراً ما نقرأ له هذه العبارة: «وسألت أبا مالك». ويقول فى موضع من كتابه الأخبار: حدثنى أبو مالك عون بن محمد الكندىّ كاتب حُجْر بن أحمد، وما رأيت أعلم بشعر أبى تمام منه، وكان قد قرأ على أبى تمام عشرين قصيدة من شعره، وقرأتها عليه سنة خمس وثمانين ومائتين[2].

وهو يرى نفسه أقدر الناس على النهوض بشعر أبى تمام وتفسيره، حتى ليقول لصاحبه الذى قدم له الديوان: «ولو أنصف من يقرأ هذا وأشباهه من تفسيرنا، علم أن أحداً لم يستقل بمثله، ولا علم حقيقة الكلام كما علمناه، إلاّ أن يتعلمه من هذه الجهة متعلم ذكى فيبلغ فيه[3]». كما يقول له فى موضع آخر: «وإنما حدانى عليه، وجذبنى إليه، علمك بأن كل متسع يضيق عنه، وكل كثير يقلّ دونه، وكل كبير يصغر عنده (يريد أبا تمام)، فوهبت أخذ ما لا يستحقه ولا تقر لى بالفائدة فيه لك — أعزك الله — لمن يشكرنى عليه، ويقرّ لى بالفضل فيه، ويعلم أن أحداً ما تضمن القيام بقصائد منه، فضلا عن جميعه، ونعوذ بالله من العُجْب بما نعلمه، والادّعاء لما لا نحسنه، وإياه نسأل ألا يؤاخذنا بما نشغل به الفكرة، ونصرف إليه الهمة، ونقف عليه الخاطر». ثم يقول فى موضع آخر، وكأنه عرف أن قوماً سيدّعون شرحه لأنفسهم: «وكأنى — أعزك الله — بأشد الناس حاجة إلى ما أؤلفه مما تقدمت فيه، وأجهلهم به، قد ادّعاه بعد إملائى له، وأجاب فيه بعد شرحى لمعانيه، لا ينسب ذلك إلىّ، ولا يعترف به لى، ولست أبالى ذلك فى سبيل رضاك، ولا أحفل به مع بلوغ مرادك، وعلمك بعجز المدعين عما كلفتنيه، وأن أحداً منهم لم يجسر على أن يُنشد قصيدة واحدة من شعر هذا الرجل، ضامناً القيام بما فيها، فضلا عن إيراد أخباره والاحتجاج لما عيب عليه، والتضمن لجميع شعره، والنضح عنه، والذب عن حريمه، والتنبيه على جيده، ليعلم علوه فى الشعر، وتقدمه فى الفهم[4]».

---

(١) لأبى مالك عون بن محمد الكندى هذا كتاب «التشبيهات المشرقية» مخطوط بمكتبة تيمور بدار الكتب المصرية.

(٢) الأخبار ص ٣١ وشرح الديوان المخطوط ورقة ٣.

(٣) الأخبار ص ٢١٨ وشرح الديوان المخطوط ورقة ١١.

(٤) الأخبار: ص ١١، ١٢.

ولا شك أن أبا بكر الصولىّ كان له الفضل، لأنه أول من عمل شعر أبى تمام، وألّف فى أخباره ؛ وروايته لهذا الديوان عن أبى مالك عون هذا تجعل لروايته قيمة ؛ وغير خاف أن أبا بكر الصولىّ من أئمة الأدب، وقد رأينا مدى اعتزازه بمنزلته . وقد كان شرحه لشعر أبى تمام حلقة أولى فى سلسلة طويلة من الشروح ، ولا شك أن كثيرين قد اعتمدوا على أقواله . لكن الصولىّ مع هذا كله لم يخل من نقد وتجريح . وكما طعن الصولىّ فى كتابه على الذين يدعون علم الشعر لأنفسهم وهم ليسوا من أهله ، واتهمهم بالعجز ، وأظهر نفسه بمظهر العالم الذى يجب أن يقر له بالتقدم والفضل ، نجد أن غيره من العلماء قد حقَّره هو الآخر وغض منه ، وعاب بعض تفاسيره لشعر أبى تمام . والآمدى فى « الموازنة » والمرزوقى فى كتابه « الانتصار » كثيرًا ما نعيا عليه ما ادّعاه لنفسه ، وكثيرًا ما سلقاه بألسنة حداد ، يشير إليه الآمدىّ فيقول : وبعد ، فلم لا تصدق نفسك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ لك الشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانة كتب تشتمل على عدة دواوين وأنت ربما قلّبت ذلك أو صحفته[1] ؟! وكذلك كثيرًا ما نقده المرزوقىّ وطعن عليه .

والصولىّ متعصب لأبى تمام ، وكتابه « الأخبار » فى الدفاع عنه ، وفى شروحه ، نراه دائمًا يحاول ألا يغض له من معنى . وهذه العلاقة بين الشارح والشاعر لها — كما نعلم — أثر فى توجيه شرح الشعر ونقده . ولسنا الآن فى صدد هذا الخلاف القوىّ الذى قام بين علماء الشعر فى تفضيل أبى تمام على البحترىّ أو العكس ، ولكن الظاهر أن الصولىّ والآمدىّ كانا فى هذا على طرفى نقيض ، الصولىّ مناصر لأبى تمام مبغض للبحترىّ، والآمدىّ على خلاف ذلك، وإن دارى تعصبه بطرق خفيّة .

وشرح الصولىّ شرح مختصر يكاد يكون خاليًا من مسائل النحو واللغة ، وإنما يقتصر على معانى الشعر ، فإن كان هناك خبر يتصل بالشعر ذكره مفصّلا، لعلمه بأخبار هذا الشاعر كما قال . ويكاد يكون شرحه منقسمًا قسمين ، الأول منهما ملىء بالشرح ، والنصف الثانى من الديوان يكاد يكون خلوًا من الشرح ، كأنما بدأ شرح الديوان ليكون القسم الذى شرحه معينًا يهدى لسائر ما فيه كما يقول.

---

(١) الموازنة : ص ١٦٩ .

هذا هو الشارح الأول من شراح أبي تمام ، وأحد الذين اعتمد عليهم الخطيب التبريزيّ في شرحه ، ولنذكر الآن شارحاً آخر لم يكثر التبريزيّ الأخذ عنه ، ولكنه مع ذلك يحتلّ مكانة أدبية رفيعة ، وأقواله في أبي تمام لا يزال يتأثر بها المتأدبون ، ذلك هو الآمديّ صاحب كتاب « الموازنة » .

الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) :

وهو متهم بالتعصب على أبي تمام ، وكتابه « الموازنة » قد يشهد بذلك ، وقد لاحظ عليه بعض المتقدمين هذه العصبية ، قال ياقوت في معجم الأدباء : « وله كتاب " الموازنة " في عشرة أجزاء ، وهو كتاب حسن وإن كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب إلى الميل إلى البحتريّ فيما أورده ، والتعصب على أبي تمام فيما ذكره ، والناس فيه بعدُ على فريقين ، فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحتريّ وغلبة حبهم لشعره ، وطائفة أسرفت في التقبيح لتعصبه ، فإنه جدّ واجتهد في طمس محاسن أبي تمام ، وتزيين مرذول البحتريّ ، ولعمري إن الأمر كذلك ، وحسبك أنه بلغ في كتابه إلى قول أبي تمام :

* أصم بك النَّاعي وإن كان أسمعا *

وشرع في إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين ، فتارة يقول هو مسروق ، وتارة يقول هو مرذول ، إلى غير ذلك من تعصباته ، ولو أنصف وقال في كل واحد بقدر فضائله ، لكان في محاسن البحتريّ كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام[1] » .

وعلى حين نجد الصوليّ يجعل صاحبه أبا تمام رأساً في هذا المذهب البديع فيقول : « ولو عرف هؤلاء ما أنكره الناس على الشعراء الحذاق ، من القدماء والمحدثين ، لكثر حتى يقل عندهم ما عابوه على أبي تمام ، إذا اعتقدوا الإنصاف ونظروا بعينه . ومنزلة عائب أبي تمام — وهو رأس في الشعر ، مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده ، فلم يبلغه فيه ، حتى قيل : مذهب الطائي ، وكل حاذق بعده ينسب إليه : ويقفّى أثره — منزلة حقيرة يُصان عن ذكرها الذم ، ويرتفع عنها

(١) معجم الأدباء لياقوت (٨ : ٨٧ — ٨٨ دار المأمون) .

الوهْد ، وقد كان الشعراء قبل أبى تمام يبدعون فى البيت والبيتين من القصيدة ، فيعتدّ بذلك لهم من أجلّ الإحسان؛ وأبو تمام أخذ نفسه ، وسام طبعه ، أن يبدع فى أكثر شعره ، فلعمرى لقد فعل وأحسن ، ولو قصّر فى قليل — وما قصّر — لغرق ذلك فى بحور إحسانه ، ومَن الكامل فى شىء حتى لا يجوز عليه خطأ إلا ما يتوهمه من لا عقل له ؟ . . . »[1] على حين يقول الصولىّ هذا ، نجد الآمدىّ يقول ردًّا عليه : « ولا هو بأول فيه — يريد أبا تمام — ولا سابق إليه ، بل سلك فى ذلك سبيل مسلم ، واحتذى حذوه ، وأفرط وأسرف ، وزال عن النهج المعروف ، والسنَن المألوف ؛ وعلى أنّ مسلمًا أيضًا غير مبتدع لهذا المذهب ، ولا هو أولٌ فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسم البديع ، وهو الاستعارة والطباق والتجنيس ، منثورة متفرقة فى أشعار المتقدمين ، فقصدها وأكثر منها »[2] .

وقد كان الآمدىّ تلميذًا لأبى موسى الحامض الذى كان يكره الصولىّ ، ويكثر من التشنيع عليه ، وربما كان لهذه التلمذة أثر فيما كان بين هذين الرجلين : الصولىّ والآمدىّ ، من عداوة ، حتى لكأنما اتخذا من أبى تمام ميدانًا للجدال والمخاصمة .

يقول الصولىّ لصاحبه فى مقدمة كتابه الأخبار : « وأنت — أعزك الله — تشهد لى من بين الناس أن أبا موسى الحامض كان يَثْلِبنى عندك وتنهاه ، ويكثر من عيبى ، والطعن على سائر ما أمليته ، وأنه لا فائدة فى شىء منه ؛ فلما تُوُفِّى وحملت كتبه إليك ، وجدت أكثر ما أمليته من كتاب " الشامل فى علم القرآن " ، وكتاب " الشبان والنوادر " ، وما مر من شعر أبى نواس ، قد كتبه كله بخطه ، واتخذه أصولا ينفق منه تفاريق على من كان يقصده ، ويطلب فائدته ، فأكبرت ذلك ، وكثر منه عجَبك »[3] .

ومهما يكن الرأى فى موقف الآمدىّ من أبى تمام . وموقفه من أبى بكر الصولىّ ، فإن الذى لا شك فيه ، هو أن العلاقة بين الشارح أو الناقد ، وبين شارح آخر

---

(١) الأخبار : ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) الموازنة : ص ٦ .

(٣) الأخبار : ص ١٠ ، ١١

أو ناقد ، وبينهما معاً وبين الشاعر ، لها أثر فى توجيه معانى الشعر والحكم على الشاعر ، بل لها أثر فى رواية شعره ، وقد رأينا بعض أصدقاء أبى تمام يغيرون رواية بعض شعره ، ليقوموه له حسب رأيهم ، كما رأينا بعض المتعصبين عليه يغير من الرواية ، قصد النكاية به ، والتشنيع عليه، ومن هؤلاء الآمدىّ نفسه ، ولعل بعض ما ذكرناه فى الهوامش يغنينا عن الأمثلة .

والآمدىّ رجل جدلىّ ، كثيرًا ما يقيس الشعر على أقيسة من المنطق ، حتى يذهب لدرجة التعسف ، وأحيانًا نراه يدعى الرجوع إلى النسخ القديمة لديوان أبى تمام ، كنسخة أبى سعيد السكرى وغيره ، ويقول إن هذه النسخ القديمة التى يرجع إليها لم تقع فى يد الصولىّ وأضرابه[1]، ولكن رجلا كابن المستوفى يذهب إلى أن هذا محض اختلاق من الآمدىّ ، وأنه يغير رواية الشعر عمدًا ، ليحدث ثغرة فى شعر أبى تمام .

ولنمض الآن إلى المرزوقى صاحب كتاب « الانتصار » ، وأحد الذين اعتمد عليهم التبريزىّ فى شرحه مشيرًا إليه بالحرف (ق) .

المرزوقى (ت ٤٢١ هـ) :

قال ياقوت : « قال الصاحب بن عبّاد : فاز بالعلم من إصبهان ثلاثة : حائك ، وحلاّج ، وإسكاف . فالحائك : هو المرزوقى ؛ والحلاج : أبو منصور ابن باشده ؛ والإسكاف : أبو عبد الله الخطيب صاحب التصانيف فى اللغة »[2] .

والمرزوقى صاحب شروح كثيرة ؛ شَرَح « الحماسة » ، و « المفضّليات » ، و « أشعار هُذَيل » ، و « الفصيح » لثعلب . وله كتاب « الأزمنة والأمكنة » المطبوع . وليس لدينا مخطوطة من كتابه « الانتصار » ، وربما ضاع هذا الكتاب فيما ضاع من تراثنا الأدبى القديم ، لكن لدينا نقولٌ كثيرة منه ، تعطينا صورة عنه ، نقولٌ أوردها ابن المستوفى فى كتابه « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام » . وقد أثبتنا فى هوامشنا كثيرًا منها ، أما ما نقله التبريزىّ عنه فليس كما جاء فى مقدمته من أنه نقل من كتاب « الانتصار » ، لأن معظم ما ذكره التبريزىّ فى كتابه عنه ،

---

(١) انظر الموازنة : ص ٨٩ ، ٩٤ ، ١٦٥ .

(٢) المعجم (٥ : ٣٥ دار المأمون) .

أخذه من كتاب المرزوقى « المشكل من أبياته المفردة » ؛ وسنتحدث عن هذا الكتاب فيما سنتحدث عنه من شروحه . وإنما يهمنا من المرزوقى فى هذه العُجالة لون شرحه ، والصفة الغالبة عليه — كما لاحظنا — محاولته الدائبة ليستقل برأيه ، فى رواية الشعر وفى شرحه ، لذلك كثيرًا ما نراه يخالف شراح أبى تمام المتقدمين ، وخاصة أبا بكر الصولىّ ، وكثيرًا ما عرّض به هو الآخر ، ونعى عليه بعض تفاسيره ، وله عليه مآخذ كثيرة ، فحين يقول المرزوقى : « وذكر هذا الإنسان » نعلم أنه إنما يريد الصولىّ .

والمرزوقىّ موفق فى أغلب شرحه ، إلا أنه هو الآخر يسرف ، فيظهر فى أقواله العَنَت ، وأحيانًا الخطأ . وشرحه يمتاز بأسلوب قوىّ رصين ، ولعله أكثر شراح أبى تمام عناية بأسلوبه ، وهو متعصب لأبى تمام ، كما يظهر من كتابه « الانتصار » وحين تشتبه الرواية نرى المرزوقىّ لا يعمد إلى النسخ القديمة ، ولكنا نراه يقيم الحجة على روايته من مذهب الشاعر نفسه ، أو طريقته فى أدائه ، وأحيانًا نراه يقوّم الرواية قياسًا على معانى الشعر ومذاهب الشعراء .

ولنمض الآن إلى رجل آخر لم يذكره التبريزىّ فى مقدمته ، ولكنه ذكره فى آخر كتابه ضمن من أخذ عنهم ، ونعنى به الإمام الخارَزَنجىّ .

الخارزنجى (٣٤٨ هـ) :

وقد رمز إليه التبريزىّ بالحرف (خ) وربما لاحظ القارئ كثرة ترداد اسم الخارزنجى فى هوامشنا ، وإنما نقلنا أقواله التى أثبتناها من كتاب ابن المستوفى . وأهميته أنه يعتبر من شراح أبى تمام المتقدمين ، وهو فوق ذلك عالم فاضل ، مشهود له بالعلم والدراية ، ترجم له صاحب البغية ، فقال : أحمد بن محمد البستى ، يعرف بالخارزنجىّ . قال ابن السمعانىّ : إمام أهل الأدب بخراسان بلا مدافعة ، يشهد له أبو عُمَر الزاهد ومشايخ الطرق بالتقدم ، ودخل بغداد ، فعجب أهلها من تقدمه فى معرفة اللغة . سمع الحديث من أبى عبد الله البُوشَنْجِىّ ، وعنه أخذ أبو عبد الله الحاكم . وصنف كتاب « تكملة العين » . وشرح أبيات « أدب الكاتب » ، وله كتاب التفضلة[1] .

---

(١) بغية الوعاة ص ١٧٠ .

وليس للخارزنجي لون خاص يميزه كثيرًا ، وإن كانت اللغة غالبة عليه ، وحين كنا نراه يتفرد بشرح أو رواية ، كنا نثبت كلامه فى هوامشنا ، لمكانته وتقدمه أولا ؛ ولما أخذنا أنفسنا به من جعل هوامشنا مكملة لمتن الكتاب أحيانًا ، أو مبينة لوجه مخالف من الرواية والشرح أحيانًا أخرى .

أبو العلاء المعرى (ت ٤٤٩ هـ) :

وهو أستاذ الخطيب التبريزيّ ، ويرمز إليه الخطيب بالحرف (ع) ، وهو أكثر الرموز ذكرًا فى هذا الديوان ، حتى يكاد يطالعنا فى كل صفحة . ونسأل ما لون أسلوب أبى العلاء فى شرحه على أبى تمام ؟

الظاهرة الغالبة التى لا تحتاج فى تجليتها إلى كبير عناء ، والتى تسترعى انتباه كل من نظر فى هذا الشرح ، هى اللغة . نعم ، فلقد صبغت أقوال أبى العلاء فى أبى تمام بصبغة لغوية قوية ، حتى لينسى المعرىّ فى كثير من الأحيان تفسير البيت ، وتلخيص معناه ، لما هو مأخوذ به من اللغة .

والصفة الثانية التى يمكن أن يتسم بها شرحه كثرة رواياته ، فأبو العلاء أكثر الشراح ذكرًا لرواية أخرى ، وأكثرهم كذلك احتيالاً على وجه آخر فى تخريج المعنى ، حتى لكأنما كان قصده من هذا الشرح إظهار قدرته اللغوية فى تجويز ما لم يستطع غيره تجويزه . وكثيرًا ما رأيناه يفعل ذلك بعد أن يذكر رواية الشاعر الصحيحة المعروفة ، يقول بعدها : فإن رويت كذا فالمعنى كذا ، وإن رويت كذا فالمعنى كذا . وكان لأبى العلاء لا شك مندوحة عن هذا الاتجاه لولا أنه جعل من اللغة مظهرًا لفلسفته .

وأبو العلاء يميل إلى أبى تمام كثيرًا ، فما لم يصحّ عنده على السماع ، فهو يصح على القياس ، وما لم يصحّ على القياس نره يقول فيه : ولا يجوز هذا على الطائى ، فلا بدّ أن يكون سمعها فى شعر قديم ، لأنه كان متبحرًا فى الرواية . وهكذا لا يخطئه فى شىء .

فأما كتابه « ذكرى حبيب » فليس إلا أبياتًا اختارها من شعر أبى تمام ، وفسرها على طريقته[1] . وكتابه « عبث الوليد » كان سبب إنشائه فيما يقال أن بعض

---

(١) معجم الأدباء (٣ : ١٥٦ دار المأمون) .

الرؤساء أنفذ إليه نسخة من شعر البحترىّ ليقابل له بها ، فأثبت ما جرى من الغلط فيها .

ولقد كان فى معانى أبى تمام مَراد خصب لفلسفة أبى العلاء ، ولو أنه خاض فى معانى الشعر كما خاض فى اللغة ، إذن لظفرنا فى هذا الشرح بأقوال كانت جديرة بنقل شروحنا الأدبية من طابعها اللغوى المألوف ، إلى المعانى العقلية البحتة ، وإلى هذا الأفق الذى يظهرنا على روح الشاعر وفلسفته .

ولم تخل أقوال أبى العلاء من مآخذ أخذها عليه غيره ، وهوامشنا فيها أمثلة على ذلك .

التبريزى (ت ٥١٢ هـ) :

وهو صاحب هذا الشرح وصاحب شروح كثيرة ، فقد شرح « الحماسة » ، و « المفضليات » ، و « سَقْط الزَّند » .

والسِّمة التى يصح أن تتسم بها شروحه هى النقل من غيره . فطريقته أن يذكر البيت، ويذكر ما قال فيه بعض المتقدمين، ثم يكمل الشرح من عنده أحيانًا ، أو يقتصر على ما قال غيره أحيانًا أخرى . وشرحه على « سقط الزند » إنما نقله عن أستاذه أبى العلاء ، ومع ذلك فقد وقع فيه تقصير ، إذ أهمل الخطيب أكثر المشكلات كما يقول صاحب « التنوير » : « فجاء الشرح لُمَعًا من مواضع شتى ، لم يشف به الغليل » . وكذلك شرحه على « الحماسة » المطبوع ، إذا قابلناه على شرح المرزوقى المخطوط [1]، نرى الشرحين متشابهين بأكثر ألفاظهما فى كثير من المواضع ، وقد يكون التبريزىّ نقل من كلام المرزوقى كثيرًا من مادة شرحه ، مع رمزه إلى مصدره . ثم سقط ذلك الرمز من النسخة ؛ وقد يكون تصرف فى النقل عنه ، من غير رمز إليه .

فأما فى شرحه هذا على أبى تمام فقد اعتمد على من ذكرهم فى مقدمته ، فأتى بأقوالهم ، لكننا نلاحظ أن أقواله فى بعض المواضع التى لم يعيِّن فيها تتضمن من أقوال هؤلاء أشياء ربما كانت بأكثر لفظها ومعظم معناها ، دون أن يشير إلى ذلك،

---

(١) منه صورة بمكتبة جامعة القاهرة .

وفى بعض هوامشنا أمثلة على ذلك . وقد ذكر التبريزىّ فى آخر شرحه هذا من اعتمد عليهم ، فقال :

« هذا آخر شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، وجمْع ما اتفق إثباته من التفاسير والإعراب ، مما ذكره أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخىّ المعرىّ فى كتابه الموسوم بـ " ذكرى حبيب " ؛ ومما ذكره أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقىّ فى تفاسيره وفى كتابه الموسوم بـ " الانتصار من ظلمة أبى تمام " فى الرد على من رد على أبى تمام ، وعابه فى مواضع من شعره ؛ ومما ذكره أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب صاحب كتاب " مبادئ اللغة " ؛ ومن كلام الصولىّ وغيره . وعلامة أبى العلاء (ع) فى بعض المواضع ، وعلامة المرزوقى (ق) ، وعلامة الخطيب (الشيخ) اتباعًا للنسخة المقروءة عليه ، فإن وُجد فيما كتبته سهو أو تحريف ، وظهر فيه وجه الصواب أُصلح ، لأن القليل إلى جنب الكثير معفوّ عنه ، والكتب القديمة عن الأئمة الذين يُقْتَدى بهم قلما تخلو من ذلك ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين » .

وللخطيب شرح مختصر على ديوان أبى تمام، نقل فيه كثيرًا من شرح الصولى حتّى أوقع النُّسَّاخ فى خطأ ، إذ ظنوا مختصره هذا شرح الصولىّ ، فنقلوا مقدمة الصولىّ إليه . قال صاحب كشف الظنون : وللخطيب التبريزىّ مختصر على أبى تمام ، أوله « الحمد لله الذى جعل معرفة العارفين التقصير عن شكره ... » إلخ [1] . وهى نفس مقدمة الصولىّ التى يذكر فيها أنه وفى بما وعد تلميذه به من عمل « أخبار أبى تمام » ، ثم يقول الصولىّ بعد ذلك فيها : وبقى شعره الذى سألتنى عمله ... إلخ .

ومهما يكن الرأى فى الخطيب التبريزىّ ، فإنه بهذا الشرح قد قدم للمتأدبين عملا جليلا خالدًا ؛ إذ جمع شعر أبى تمام من أوله إلى آخره . ثم نظر فى شروح شراحه ، ثم اختار من هذه الشروح وضمنها كتابه ، ناسبًا كل قول لقائله غالبًا ، فجاء شرحه حاويًا لآراء هؤلاء الشراح جميعًا ، ولا شك أن الاختيار والتضمين عمل شاقّ فى نفسه ، فضلا عن جهده هو فى شرحه الكثير من شعر هذا الشاعر . وقد قرأ هذا الديوان ، كما قال فى مقدمته ، على الشيخ أبى القاسم الفضل بن محمد

---

(١) كشف الظنون (١ : نهر ٧٧١) . طبع الآستانة سنة ١٩٤١ .

القَصَباني ، الذى قرأه على عبد الكريم السكرى ، عن الآمدىّ ، عن السجستانىّ ، عن أبى سعيد السكرىّ ، عن أبى تمام . فروايته إذن تنتهى إلى أبى سعيد السكرىّ عن أبى تمام . وهذه أسانيد كلها موثوق به .

ولا يتسع المقام فى هذه المقدمة لذكر أكثر من هذا الذى ذكرناه ، وإنما أردنا أن نأتى بطرف من ذكر هؤلاء الشراح الذين تضمنهم شرح التبريزىّ هذا، على ما نظنهم عليه فى شروحهم لأبى تمام . وبقى أن نذكر شيئًا عن تحقيق هذا الديوان ، وعن النسخ التى اعتمدنا عليها فى ذلك .

تحقيق هذا الديوان :

اعتمدت فى تحقيق هذا الديوان على :

١ — النسخ المخطوطة التى حصلت عليها من شرح التبريزىّ على ديوان أبى تمام.

٢ — النسخ المخطوطة من شرح الصولى لتحقيق أقواله التى أوردها التبريزىّ .

٣ — كتاب المرزوقىّ « المشكل من أبياته المفردة » .

٤ — كتاب ابن المستوفى المسمى بـ « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام » ، الذى جمع فيه أقوال شراح أبى تمام وفيهم التبريزىّ .

٥ — النسخ المخطوطة من ديوان الشاعر لتحقيق رواية التبريزىّ وإثبات الاختلافات فى الهوامش .

هذه أهم الأصول التى اعتمدت عليها ، ولنخص الآن بعضها بالذكر .

١ — نسخ التبريزى :

لدينا من هذا الشرح مخطوطات ، بعضها قديم ، وبعضها الآخر حديث ، بعضها ملىء بالخطأ ، وبعضها الآخر صحيح فى معظمه مستقيم .

وأول ما يجب على ناشر الكتب القديمة الجمع والانتقاء ، وذلك بمعارضة ما يجتمع إليه من النسخ المخطوطة للكتاب الذى ينشره ، حتى يبين له التابع منها من المتبوع ، فإذا عرف الأصل الذى يجب أن يجعله عمدته واطمأن إليه . نظر بعد

ذلك فيما يمكن أن يستفيد منه مما اجتمع لديه من الأصول ، وذلك بمعرفة علاقات بعضها ببعض .

ولقد جمعت من مخطوطات هذا الشرح ما أمكنني جمعه ، وفاضلت بينها ، فوجدت أنها لا تكاد تختلف اختلافًا له شأن يذكر ، في رواية الشعر أو في مادة الشرح ، عدا نسختي (ب ، ن) اللتين يصح أن نقول إنهما من أسرة واحدة ، على حين أن بقية الأصول من أسرة أخرى ، ولكنها مع ذلك من صلب هذه الأسرة الأولى .

وجعلت النسخة التي رمزت إليها بالحرف (ش) الأصل الأول ، ولم أحد عنها إلا في مواضع قليلة جدًّا لسبب من الأسباب ، وهي أم هذه الأسرة من النسخ الكثيرة العدد . ولا بد لنا هنا أن نخصها بشيء من الذكر .

نسخة ش :

وهي مصورة عن الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة شهيد على باشا بإستامبول . نسخة تامة في مجلدين ، الأول منهما في ٢٤٨ ورقة ، والثاني في ٢٢٩ من القطع المتوسط[١]. على الورقة الأولى منها ختم مكتبة شهيد على باشا ، وشرط صاحب النسخة ونصه : « . . . . (كلمة بمعنى وقف) هذا الكتاب لله ، أبو عبد الله ، وليّ الدين جار الله ، بشرط ألا يخرج من خزانة . . . جامع القسطنطينية (ثم تاريخ غير ظاهر) .

وعلى هذه الورقة الأولى تمليك بتاريخ سنة ٩٨١ هـ ونصه : « الحمد لله ، ملك العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير ، أحمد بن حسن الحقير ، عفا عنهما اللطيف الخبير ، بحرمة البشير النذير ، في شهر ذي القعدة الحرام ، المنخرط في سلك سنة إحدى وثمانين وتسعمائة » . . . سنة ٩٨١ هـ .

وهي مكتوبة بخط النسخ ، ومشكولة نصف شكل وعدد سطورها ١٩ سطرًا ، ولم يتغير خطها إلا في موضع نبهنا عليه (من ص ١٤٠ إلى ص ١٥١) من المجلد الأول . وليس على هوامشها تعليقات أو تصحيحات ، وهي نسخة تدل على أن

---

(١) مسجلة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٦٠ .

كاتبها كان قليل السهو أو الإهمال ، وهى فوق ذلك قليلة التصحيف والتحريف ، جيدة النقط والإعجام ، صحيحة النص بالقياس إلى غيرها .

ومن تاريخها القديم ومن المقابلة ، ظهر لنا أنها نسخة أصلية ، لهذا جعلناها أصلاً ثابتاً لنا ؛ فمثلا حين كنا نقابل ما نقله التبريزىّ عن الصولىّ فيها ، بما جاء فى كتاب الصولىّ ، أو ما نقله عن المرزوقىّ ، بما جاء فى كتاب المرزوقىّ ، أو ما نقله من الخارزنجىّ ، بما نقله ابن المستوفى عن الخارزنجىّ ، أو غير هؤلاء من الشراح — حين كنا نقابل أقوالهم بما ورد فى نسخة ش منها ، كنا نجدها مطابقة كل المطابقة لها لا تكاد تختلف إلا اختلافاً ليس ذا شأن .

فهذا إذن أصل يدعو إلى الطمأنينة ، وما جاء على هوامش النسخ الأخرى من تصحيحات يدل على صحتها وعتقها ، لأن هذه التصحيحات ترجع إلى ما جاء فى متنها .

نسختا (ن ، ب) :

كثيراً ما ذكرنا فى هوامشنا نسختى (ن ، ب) لأنهما كما قلنا من أسرة أخرى ، وإن كانتا ترجعان فى أصلهما إلى الجدّ الأوّل الذى انحدرت منه نسخة ش . فأما نسخة (ن) فهى جزء واحد من الديوان فى مجلد واحد ، مصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة ينى جامع بإستامبول[١]، عدد لوحاتها ٢٤٥ لوحة ، وتنتهى عند قافية الفاء ، عند القصيدة التى يمدح بها أبو تمام الوزير ابن الزيات ، ومطلعها :

دِنَفٌ بكى آياتِ ربعٍ مُدْنَفِ   لولا نسيمُ ترابهــا لم يُعرَفِ

وهو ما يقابل الورقة ١٦ من المجلد الثانى من نسخة ش .

وليس عليها تاريخ نسخ ، أو اسم لناسخ ، وعلى الصفحة الأولى تمليك يرجع تاريخه لسنة ١١٣١ هـ ، وعلى الورقة الثانية دعاء للسلطان عثمان خان وخاتم المكتبة . وهى بخط فارسىّ صغير ، ومسطرتها ٢١ سطراً ، غير مشكولة ، وكثير من ترقيمها مضطرب أو ساقط ، وعلى هوامشها تفسيرات من اللغة ، معظمها من صحاح

(١) وهى مسجلة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٧ .

الجوهرى ، كما أن عليها تصحيحات وتعقيبات ، وكثير من هذه التفسيرات المكتوبة بهوامشها منقول من متن التبريزىّ بحرفه ، وبنفس الخط ، كأنما أراد كاتبها أن يجمع بعض المفردات اللغوية ومسائل فى الصرف مما جاء فى شرح الديوان ، فنجد قبالة بيت أبى تمام مثلاً :

عَوْد تساجله أيّامه فيهـــا من مسّه وبه من مَسِّها جُلَبُ

بالهامش : « العَوْد » : المسنّ من الإبل ، ويقال للسؤدد القديم عَوْد ، على الاستعارة ، ويقال طريق عَوْد أى قديم . وكل هذا جاء فى شرح التبريزىّ على هذا البيت .

على أن هذه النسخة قد عورضت فيما يظهر بنسخة أخرى يرمز إليها الكاتب بالحرف « س » ويثبت على الهامش روايات (س) المغايرة ، فى هذه القصيدة عند البيت :

« يعشو إليك وضوء الرأى قائده »

نجد على الهامش : س : « عشا » كما نجد : وفى بعض النسخ « يعشى » ، والوجه « يعشو » ، وهذا يدل على أنها عورضت بنسخ أخرى غير نسخة س .

فأما نسخة (ب) فهى عن الأصل الموجود بمكتبة بروصه بقرب إستامبول وهى شقيقة نسخة (ن) وتنتهى نفس الانتهاء ، وما فى هوامش (ن) منقول عنها بزيادات فى اللغة أو الصرف ، وعدد لوحاتها ٢٨٠ لوحة ، فى جزء واحد ، كتبت بخط النسخ ، ومشكولة شكلاً تامًّا ، وعدد سطورها ١٩ سطرًا ، جاء على الورقة الأولى منها : « الجزء الأول من كتاب الإيضاح فى فَسْر شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، مما جمعه الشيخ أبو زكريا يحيى بن على الملقّب بالخطيب التبريزىّ رحمه الله » . وبهامش هذه الورقة الأولى بخط مخالف يظهر عليه القدم بعض الشيء : « يعتمد على الله تعالى على بن عيسى بن أبى الفتح ، فى رجب المبارك برسم جمال الدين بن بقىّ بن الحاج محمد بن عمر الواسطى ، عفا الله عنه . . . (كلام مقطع مطموس) ، ثم تاريخ سنة ٥٤٠ هـ .

وفى صلب هذه الورقة من أسفل تمليك بخط فارسىّ حديث ، نصه : « من

مستوعبات الدهر لدى الفقير إلى من لا إله سواه ، شيخ محمد بن شيخ لطف الله ، عفى عنهما » .

فإذا صح تاريخ هذه النسخة أى سنة ٥٤٠ هـ ، فهى إذن أقدم أصول التبريزىّ التى بين أيدينا لولا أنها جزء واحد ، وخطها يرجّح قدمها .

وقد جعلناها هى ونسخة (ن) أصلين لنسخ أخرى تبعتهما ، وأثبتنا فى هوامشنا رواياتهما المخالفة لنسخة (ش) .

ولا يتسع المقام هنا لذكر سائر النسخ من شرح التبريزىّ ، فهى فى مجموعها يصح أن تنقسم إلى أصلين : أصل (ش) وأصل (ب ، ن) ، والنسخ جميعاً فيها نقص مشترك ، وهو سقوط الرموز التى وضعها التبريزىّ (ص) للصولىّ و (ع) لأبى العلاء و (ق) للمرزوقىّ ، وهكذا ، فمعظم هذه الرموز ساقط من النسخ جميعاً ، وقد كلفنى هذا عناء يعلم الله كم آدنى ، إذ كنت أقرأ شرح البيت ، فأحسب الكلام للتبريزىّ ، فأرجع إلى كتاب الصولىّ ، وكتاب المرزوقىّ ، أو كتاب ابن المستوفى ، فأجد أن بعض هذا الكلام للصولىّ مثلا ، فأضع من عندى حرف [ص] بين قوسين مربعين ، لأفرق بهذا بين هذا الرمز والرمز الذى لم يسقط من النسخ ، والذى جعلناه بين قوسين معقوفين ، وهكذا دواليك فى غيره من الشراح الذين أوردهم التبريزىّ .

٢ — شرح الصولى :

ولدينا بعد أصول التبريزىّ ، أصول أخرى يصح أن نطلق عليها الأصول المساعدة ، وهى أقوال هؤلاء الشراح فى كتبهم ، وفيما نقله غير التبريزىّ عنهم ، للتثبت من النص بهذه الطريقة ، وأولها شرح الصولى الذى نقل عنه التبريزىّ ولدينا مخطوطات منه .

وقد حققت ما نقله التبريزىّ عن الصولىّ على أصلين من أصول شرح الصولىّ ، هما ما أشرت إليه بالحرفين (م) ، (ل) أى نسخة المدينة ونسخة ليدن . وبين أيدينا أصول أخرى من شرح الصولىّ ، منها نسخة أخرى من ليدن ، ونسخة عن الأصل الموجود بدار الكتب المصرية ، كانت ملكاً للمرحوم محمود سامى

البارودى ، ولكنها الجزء الثالث من الديوان فقط ، وتبتدئ بقافية الفاء ، ولا نطيل الوقوف عند هذه الأصول المساعدة ، لأن وظيفتها إنما كانت إعانتنا على تحقيق نص التبريزىّ ، وإثبات ما ضاع من الرموز التى أشار بها إلى أصحابها ، وإثبات بعض الاختلاف الذى يستحق الذكر فى رواية الشعر أو شرحه ، وربما قصّر التبريزىّ فى شرح بيت من الأبيات ، أو جاء تفسيره ناقصًا ، فأثبتنا فى هوامشنا شرحًا آخر له ، وهكذا كانت أصول الصولىّ تحقق نص التبريزىّ ، كما كانت أصول التبريزىّ تحقق نص الصولىّ .

٣ ـ كتاب المرزوقى :

ذكر التبريزىّ فى آخر شرحه أنه أورد فى كتابه ما اتفق إثباته من كلام الصولىّ وغيره ، ومما ذكره المرزوقىّ فى تفاسيره ، وفى كتابه « الانتصار » ، فكان علينا أن نقابل ما نقله التبريزىّ من كلام المرزوقىّ فى كتب المرزوقىّ إن وجدت : كتبًا أو نقولاً نقلها عنه غير التبريزىّ .

وقد عثرنا على كتاب المرزوقىّ « المشكل من أبياته المفردة » مصورًا من إحدى مكتبات إستامبول فى ١٠٥ ورقة . وهو الذى يشير إليه التبريزىّ بقوله « تفاسيره » ، كما عثرنا على نقول كثيرة من كتاب « الانتصار » ، نقلها ابن المستوفى عنه ، فاستطعنا بذلك أن نقابل ما نقله التبريزىّ عن المرزوقىّ على هذين الأصلين .

فأما كتاب « المشكل من أبياته المفردة » فهو عبارة عن بعض أبيات من شعر أبى تمام ، اختارها المرزوقى ليشرحها على طريقته ، غير متبع فى اختياره قاعدة بعينها ، فليس هذا الكتاب ـ كما يفهم من عنوانه ـ بعض عَوِيصات أبى تمام ، ولا هو بعض أبياته المشهورة بمعانيها الحسان ، ولكنه اختار من بعض القصائد بعض الأبيات ، يختار من القصيدة البيتين أو الثلاثة أو فوق ذلك بقليل ، ثم يشرحها ، ليجعل ذلك كما يقول ، معينًا يهدى لسائر ما فى شعر أبى تمام . يقول فى مقدمته :

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد وآله أجمعين ، جاريتنى ـ أيدك الله ـ أمر شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، وما فيه من عويصات

الأبيات ، وبديع المعانى والألفاظ ، إلى غير ذلك مما يستبد به فنه ولا يُساهَم ، ويختص به نهجه فلا يُقاسَم ، ثم سألت أن أتتبع مشاهير كلماته ، فألتقط من فقرها ما يفتقر إلى تبيين ، ومن بيوتها ما يحوج إلى تفسير ، ثم أتبع كلا منه بما يحتمل من تلخيص ، بأوجز ما أمكن من لفظ ، وأقرب ما أعرض من بسط ، لتجعل ذلك دليلا يهدى إلى الأغمض من باقيه ،ومعيناً يُعدى على ألطف ما فيه . وقد نظرت فى عظم ديوانه ، وجمعت منه جُلَّ ما يلقى فى المجالس من أبياته ، ثم تحريت فى شرحها مسارّك ، وتوخَّيْت فيما سهل منه أو توعّر تحصيل مرادك ، غير محتفل بما يلحق من كد ، ولا مفكر فيما يعرض من تعب ، حتى حصل على حدّ يملك الناظر فيه مع أدنى تأمل ، عنان هذا الشعر وزمامه ، ويخبر المذاكر بعد أيسر تمرس به ، غرض هذا الشاعر وسهامه ، فتى جارى فيه سبق ، وإذا ناضل له قَرْطَس ، والله أسأل التوفيق ، وإياه أعبد وأستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل » .

وقد كان هذا الكتاب نافعاً كل النفع فى المقابلة وفى إثبات الرمز (ق) الساقط من النسخ . فأما ما نقله التبريزىّ من كتاب « الانتصار » فقد قابلته بما نقله ابن المستوفى عنه ، والحق أن كتاب ابن المستوفى هذا ، كان أكبر معين لى على تحقيق نص التبريزىّ نفسه ، ونص ما نقل عنهم من شراح أبى تمام ، وسنخصه بالذكر هنا ، لأنه ملأ هوامش كتابنا .

٤ — كتاب ابن المستوفى المسمى بالنظام ، فى شرح المتنبى وأبى تمام [١] :

هذا الكتاب يجمع شعر المتنبى وأبى تمام وشروح الشرّاح عليهما ، كتبه المبارك بن أحمد الإربلىّ المعروف بابن المستوفى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ . ترجم له ابن خلكان فقال : كان رئيساً جليل القدر ، ماهراً فى فنون الأدب ، عارفاً بعدة علوم أخرى ، كالحديث وأسماء رجاله ، وكان بارعاً فى النحو واللغة والعروض والقوافى وعلم البيان ، وأشعار العرب وأخبارها وأيامها وأمثالها ، وكان ذا خبرة فى علم الديوان

(١) هكذا ذكره ابن خلكان فى الوفيات والذى على الورقة الأولى من نسخة إستامبول : « النظام شرحى المتنبى وأبى تمام ».

وحسابه ، وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم . . . وله عدة تآليف منها تاريخ إربل[1] . . . وكتاب النظام هذا الذى جمع فيه كل ما وصل إليه من أقوال الشُّرّاح فى هذين الشاعرين .

وقد وصل إلى أيدينا منه جزءان من نسختين مختلفتين :

الأول : مصور فى ثلاثة مجلدات ، عن نسخة مصورة فى مجلدين محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٦٤٠ ز ، وأصلها المخطوط بمكتبة سوهاج ، برقم ١٣٥ أدب ، وهو مما كانت احتوته مكتبة آل رفاعة الطحطاوىّ ، ثم أهدى أخيراً إلى تلك المكتبة .

وهذا الجزء فى ٧٧٢ صفحة ، فى كل منها ٢٩ سطراً ، مكتوب بقلم تعليق (فارسىّ) جميل ، من القرن الحادى عشر تقريباً . وينتهى بآخر شرح قصيدة أبى الطيب المتنبى ، التى قالها فى صباه ، ومطلعها :

كمْ قتيلٍ كما قُتِلْتُ شهيدِ ببياض الطُّلَى وورد الخــدودِ

وفى آخر هذا الجزء ما نصه :

تم الجزء الأول ، والحمد لله رب العالمين ؛ يتلوه فى الجزء الثانى : وقال أبو الطيب يمدح على بن إبراهيم التنوخى ، ولم يذكر الشعر الذى فى أول الجزء التالى ؛ وقد بينه الكاتب على الهامش بقوله : ويتلوه فى المجلد الثانى :

* أحَادٌ أمْ سُداسٌ فى أحادِ *

والثانى : من نسخة أخرى فى مجلدين ، صورت عن النسخة التى صورتها بعثة الإدارة الثقافية ، بجامعة الدول العربية ، إلى إستامبول عام ١٩٤٩ من الأصل المحفوظ بمكتبة ينى جامع برقم ١٠١٥ .

وهذا الجزء فى ٥٤٤ صفحة ، بكل صفحة ٢٧ سطراً . وهو يبتدئ بقوله : قال أبو الطيب يمدح علىّ بن إبرهيم التنوخى :

أحَادٌ أم سُدَاسٌ فى أحادِ لُيَيْلَتنا المنوطة بالتّنَــادى

وينتهى بشرح القصيدة اللامية التى قالها أبو تمام فى ابن الزّيات ، ومطلعها :

---

(١) ابن خلكان ١ : ٥٦٠ طبع بولاق .

مَتى أنتَ عن ذُهليـَّةِ الحى ذاهلُ وقلبك منهـا مدة الدهرِ آهِلُ

وفى آخره ما نصه : « تم الجزء الثانى ، ويتلوه فى الجزء الثالث إن شاء الله تعالى : وقال أبو تمام يمدح المعتصم ، ويمدح فتح الخرمية » . وهو بخط نسخى جميل مشكول [كتبه محمد بن إسماعيل بن حسن بن أبى الحسين بن على الهِرَقْلىّ] ، عفا الله عنه وعن جميع المسلمين . ووافق الفراغ من كتابته ضاحى نهار الأحد حادى عشر شهر شعبان من سنة ثمان وسبعين وستمائة الهلالية » .

ومن جميل الاتفاق أن الجزء الثانى وإن كان من نسخة أخرى ، فهو يتمم الجزء الأول بلا فاصل بينهما ، ولم نعثر إلى الآن على الجزء الثالث الذى يتم به الكتاب ، فلعل من يعثر عليه من العلماء يتفضل مشكوراً بإرشادنا إليه حتى يخرج جميع الديوان كامل الشروح التى التزمناها فى هذا المجلد .

ويهمنا هنا بيان أهمية هذا الكتاب فى تحقيق شرح التبريزىّ على أبى تمام .

أول ما يمتاز به كتاب النظام هذا أنه جامع لأقوال كل شراح أبى تمام منذ بدأ الصولىّ شرحه إلى ابن المستوفى فى القرن السابع الهجرىّ ، وكذلك فعل فى المتنبى .

ثم إن ابن المستوفى عالم محقق ، ينسب كل قول إلى قائله ، بحيث إذا رجعنا مثلا إلى قول التبريزىّ فى كتابه وجدناه مطابقاً له ، أو إذا رجعنا لما ينسبه إلى المرزوقى فى كتابه ، وجدناه مطابقاً كذلك ، وهكذا .

ولقد بهرنا هذا الرجل حقاً وملأنا إعجاباً ، لدقته وأمانته العلمية ، وكذلك لنقده الصائب فى أكثر الأحيان ، وتعقيباته على بعض من يورد لهم فى كتابه ، وقد أثبتنا فى هوامشنا كثيراً من هذه التعقيبات . ولننظر كيف قدم لكتابه ، لنرى منهجه فيه . قال فى المقدمة : . . . وإنما اعتمدت فى شرح ديوان أبى تمام الطائىّ على كتاب أبى بكر محمد بن يحيى الصولىّ ؛ وعلى « ذكرى حبيب » كتاب أبى العلاء أحمد بن سليمان المعرىّ ؛ وعلى ما ذكره أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وعلى كتابىْ أبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى ، أحدهما فى شرح مشكل أبياته المفردة ، والآخر فى الانتصار لأبى تمام من ظلمته ، وعلى قطعة من كلام أبى حامد أحمد بن محمد الخارزنجى ، ومعه من غير كلامه ، ووقع إلى كلام أبى تمام ، وعلى حواشيه جملة من تفسير ، وفى أوله فوق البسملة : « قال الصاحب الأجل ،

عين الكُفاة ، تاج الوزراء ، صدر الإسلام والمسلمين ، ناصح الملوك ، ولىّ النعم ، أبو القاسم عبد الحميد بن أكفى الكفاة رحمه الله ، سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، قال : قرأت على أبى الحسين بن أحمد النوزازى ، قال قرأت على أبى محمد الحسن ابن محمد صاحب المرزبان ، قال قرأت على أبى عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبان ، قال قرأت على أبى بكر محمد بن يحيى الصولىّ ، وذكر الخطبة . . . » ، ثم جاء بعقب ذلك : وهذه النسخة من نسخ العجم ، وربما وقع فى حواشيها شرح يسير بالعجمية ، فإذا عينت : « وفى النسخة العجمية » أو : فى طرة النسخة العجمية ، أيًّا ما ذكرت فإنما أعنى إياها ، وإذا كانت رواية مجهول نسبها ذكرتُها على ما وجدتُها .

ووقع إلىّ نسخة لديوان شعر أبى تمام شرح الصولىّ ،وعلى أول طرة منها ما حكايته : هذه النسخة صحّحها إبراهيم بن أحمد بن الليث ، نسخة كانت لأحمد بن بكر العبدىّ ، وكان كتب على حاشية الورقة الأولى : « يقول محمد بن جعفر التيمىّ : قرأ على هذا الديوان الشيخ أبو طالب أحمد بن بكر العبدىّ ، أيده الله ، ورويته له عن أبى بكر الصولىّ ، وعن أبى مالك صاحب أبى تمام » . قال إبراهيم بن الليث : العبارات المنقولة إلى الحواشى هى منقولة عن هذه النسخة على اختلالها وتقارب ألفاظها ، وإن كانت المعانى صحيحة .

كانت مصادر ابن المستوفى كتاب الصولىّ ، وذكرى حبيب ، لأبى العلاء ، وأقوال الآمدىّ ، وكتابى المرزوقى ، وقطعة من كلام الخارزنجىّ ، وشرح التبريزىّ ، وهذه النسخ التى أشار إليها ، والنسخة العجمية ونسخة العبدىّ . وقد كان يشير فى كتابه إلى هذه المصادر بدقة وأمانة . يقول ابن المستوفى : « ألزمت نفسى أن أورد فى هذا الكتاب كل ما وقع ، من بيان مشكل ، أو تقييد مهمل ، وألاّ أتجاوز شيئًا منه ، ولا أضرب صفحًا عنه ، فربما توافق القولان أو أكثر فى معنى ، وإن اتسع الزمان ، وساعد الإمكان ، عدت على ما فيه من التطويل فاقتصرته ، ورجعت إلى ما فيه من إسهاب فاختصرته » . وكثيرًا ما نبه ابن المستوفى فى كتابه على تداخل أقوال شراح أبى تمام بعضها فى بعض ، فهو فى موضع مثلا يورد كلام أبى زكريا التبريزىّ ويقول بعقبه : (الذى ذكره أبو زكريا كلام المرزوقى ووضع

موضع « قلبه » « نفسه » ، فغيّره بما لو نقله على وجهه كان أجود) . وفى موضع آخر بعد أن يذكر شروح الشرّاح وينقل كلاماً سمعه أو قرأه ولكنه لا يدرى قائله نراه يقول : (وأظن هذا القول من كلام الآمدىّ ، فإن عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد) ولقد بلغ من دقته العلمية أنه كان أحياناً ينقل بعض الهوامش الغامضة ، يوردها كما وجدها ، وينبه على أنه لم يفهمها . وينقل شرحاً للصولىّ مثلا ، ثم يعقّب عليه بقوله : « الذى ذكره الصولىّ يحتاج إلى إيضاح » ، أو يقول : وفى النسخة العجمية كذا ولا أعلم صحته . وأكثر من ذلك نراه عند ما يشرح بيتاً من الأبيات . ويجد أن غيره قد تقدمه بمثل ما قال ، لا يتأخر أن يعلن هذا فى صراحة علمية محببة ، فيقول : « كتبته ولم أنظر — علم الله تعالى — ما ذكره أبو العلاء إلا بعد فراغى منه » .

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا هنا ما أخذنا من كتاب ابن المستوفى هذا ، ويكفى أنه كان مفتاح هذه الرموز التى سقطت من نسخ التبريزى ، وما أثبتناه فى هوامشنا من كتابه من تعقيبات وروايات ، يعطينا فكرة عن قيمة هذا الكتاب .

٥ — متن الديوان :

بقى أن نتحدث عن بعض نسخ ديوان أبى تمام التى بين أيدينا ، فقد كان متن الديوان نفسه يساعدنا على تقويم الشعر ، كما كان نافعاً فى إثبات بعض الروايات المختلفة فى هوامشنا . وأهم أصل يصح أن نخصه بالذكر هنا ، هو نسخة الإسكوريال ، التى أشرنا إليها فى الهوامش بالحرف (س) . فأما نسخة (د) التى يرد ذكرها معها ، فهى آخذة عن أصل (س) هذا ومن أحفادها ، لذلك آثرنا إثبات رواياتها معها ، وهى نسخة عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية .

فأما نسخة (س) فتعتبر مصدراً ممتازاً لديوان أبى تمام ، لأنها نسخة قديمة ، وهى منقولة عن القراطيس التى كتبها أبو تمام بخطه . كما ذكر ذلك أبو علىّ القالىّ ، وكانت معه فى رحلته إلى بلاد الأندلس ، وقد صورت عن الأصل الموجود بالإسكوريال [١] مخطوطة بخط كوفى دقيق جداً . حتى ليصعب قراءته ، ومرقمة

---

(١) الصورة مسجلة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٣٠٤٣ .

ترقيماً قديماً ، وهى تامة غير ناقصة ، تشتمل على ديوان أبى تمام جميعه ، عدد آوراقها ١٣٦ ورقة ، ومسطرتها ١٩ سطراً ، وعلى هوامشها تعليقات وروايات . وجاء فى آخرها ما نصه : (كمل جميع شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائىّ ، رواية أبى على إسماعيل بن القاسم البغدادى ، وذلك فى الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، والحمد لله على ذلك كثيراً ، وصلى الله على محمد نبيه وسلم تسليماً » .

ثم جاء بعقب ذلك : « كتبه لنفسه بخط يده على بن محمد بن عيسى القسِّى نفعه الله به ، انتسخه من كتاب الشيخ الأجل الوزير الأستاذ أبى القاسم إبراهيم ابن محمد بن زكريا الزّبيرى المعروف بابن الإفليلى، المكتوب بخط يده ، المنقول من القراطيس التى اجتلبها أبو على إسماعيل بن القاسم البغداذىّ ، وذكر أنها بخط أبى تمام حبيب بن أوس الطائى » .

ثم جاء أيضًا : « وألفيت فى آخر الأصل المذكور بخط الشيخ الأستاذ أبى القاسم المذكور رحمه الله : كمل فى هذا السفر جميع ما تضمنته القراطيس التى اجتلبها أبو على إسماعيل بن القاسم البغداذى من شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائىّ ، وذكر أبو على أنها بخط يد أبى تمام ، واستقرت عند صاحب الشرطة الكاتب أبى القاسم بن سيد ، وصارت إلىّ من جهته ، وبذلك كمل فيه جميع ما قيده أبو علىّ من شعر أبى تمام فى سفر الكاغد ، الذى قرأ فيه على أبى محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه ، وأقرأه ذلك روايةً عن على بن مهدىّ الكسروىّ ، عن أبى تمام حبيب بن أوس ، واستقر السفر الكاغد عند الحاجب جعفر بن عثمان ، وصار من جهته إلى صاحب الشرطة الكاتب أبى جعفر بن مَضاء ، واستعرته وأضفت إلى ذلك ما ألفيته زائداً فى الكتب التى استقرت بخط أبى علىّ وروايته فى خزانة المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر ، وأخرج إلىّ الكتب المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ، رحم الله جميع المذكورين وعفا عنهم » .

ثم جاء أخيراً قوله : « وأضفت إلى ما نقلته من الأصول المذكورة ما لقيته زائداً فى رواية محمد بن يحيي الصولى ، مما أشبه ما تقدم فى حسن الصناعة ،

واختيار الألفاظ ، والحمد لله على عونه وجميل تأييده كثيراً ، كما هو أهله ، وصلى الله على محمد وسلم » .

ثم عقب الناسخ بقوله : « نقلته كما ألفيته فى الأصل المذكور حرفاً بحرف » .

فهذه إذن نسخة حسيبة نسيبة من ديوان أبى تمام ، فإذا صح ما قاله أبو علىّ القالىّ ، وهو ثقة ، تكون هذه النسخة إذن أول مصدر وآخره لشعر أبى تمام ، لأنها منقولة عن القراطيس التى كتبها هذا الشاعر بخط يده ، والأيدى التى تداولتها جميعاً لأصحابها مكانتهم العلمية .

ونجد على رأس معظم القصائد هذه العبارة « صحت من خطه » ، أى خط أبى تمام ، أو « صحت من خط القرطاس » ، وليس لها ترتيب متبع ، فلا هى على الحروف ، ولا هى على أبواب الشعر المعروفة ، مما يدل على أنها نقلت حقاً من القراطيس كما وجدت . وفى هوامشها روايات الصولىّ التى قيدها عليها صاحبها ابن الإفليلىّ ، فهى إذن تجمع طريقين من طرق رواية هذا الشاعر ، لعالمين كبيرين : القالىّ والصولىّ ؛ ونجد فيها من حين لآخر لحقاً يشير إلى تصحيح ، فهى إذن نسخة مُقابَلة .

وقد أثبتنا فى هوامشنا كثيراً مما جاء فى هذا المصدر ، ليكون شرح التبريزى جامعاً فى هوامشه فوائد أخرى ، لأن نشر الديوان عن طريق واحد من طرق الرواية قد يكون فيه بعض الافتئات على الشاعر .

وبعد ، فهذه بعض الأصول التى اعتمدت عليها فى نشر شرح الخطيب التبريزىّ على ديوان أبى تمام ، ذكرتها مجملا ، لأن المقام لا يتسع لأكثر من ذلك ، ولكن قبل أن أختم حديثى يلزمنى أن أقول : إننى فى بعض المواضع اضطررت أن أضع الرمز فاصلا بين أجزاء الكلام ، وذلك لأن كثيراً من أقوال هؤلاء الشراح قد تداخل بعضها فى بعض ، فكنت أضع الرمز أمام قول الواحد منهم إذا ما وجدت القول له ، ثم إذا رأيت التبريزىّ وصل ما نقله عنه بكلام آخر من عنده ، أو من عند غيره ، وضعت نجماً ، إشارة إلى انتهاء قول الأول .

وأخيراً ، فإنى أكتب هذه المقدمة وأنا بلندن بعيداً عن كثير من المصادر التى

كنت أحب أن أكون قريباً منها ، وربما أجملت مواضع يخلّ بها الإجمال ، ولكني مع ذلك أشعر بسعادة حين أرى المجلد الأول من هذا الكتاب قد مَثَل للظهور ، سعادة تحفزني على استئناف السير ومتابعة الرحلة ، مهما بعدت المسافة وشق الطريق .

والحمد لله الذي وفقني لكي أوفّي بعض ما عليّ لهذا الشاعر الكبير .

لندن في ٢٦ من مارس سنة ١٩٥١ .

محمد عبده عزام